

مقدمة في منهجية تحليل النص الأدبي لتلاميذ المرحلة المتوسطة.

د/عمارة بوجمعة.

جامعة سيدي بلعباس.

لا تقوم العلاقة بين المتعلم ولغته إلا حين تصير هذه اللغة جزءا من الحياة وحاجة من الحاجات التي لا يمكن الاستغناء عنها. لقد عرفت الثقافة العربية ومناهج التعلم الخاضعة لهذه اللغة سياقاً من الجودة استحال في كثير من مظاهره إلى شكل من أشكال التقديس الذي يفصل العملية التعليمية عن الحياة والواقع. وهنا فقدت اللغة العربية نبض الحياة وإيقاعاتها المتغيرة وأصبحت عاجزة أن تفي بحاجات المجتمع العربي المعاصر في وقت يتسم بالتفاعل اللغوي والتطورات التقنية والتكنولوجية التي غزت مختلف نواحي الحياة المعاصرة. وهذا على الرغم من تميز اللغة العربية (بجملة من الخصائص والمضامين والقيم والوسائل السلوكية والخطابية التي تحدد الوجود الإنساني للفرد مثلما انطوت على حرص شديد على جمال الصوت والإيقاع وقوة الفكرة، فالجمال متعة طيبة ترفع الإنسان إلى مزية الكمال التي لا تعرض القيمة الأخلاقية¹

وأمام هذا التحدي كان من اللازم تجديد التفكير في علاقة المجتمع العربي بلغته ومحاولة مواجهة الخلل القائم في الطرقات التعليمية التقليدية التي فصلت اللغة عن الحياة ذلك (أن في اللغة العربية حياة وجمالاً وأن فيها أدبا وفكرا وتراث أمة ودين وأجناس ولا أدل على ذلك من عمرها المديد وصمودها إزاء كل أنواع الغزو، ثم يقظتها الجديدة. ومن هنا يجب أن نبدأ. ومن عناصر الحياة أن ننطلق، أن نصل اللغة بالحياة. ونشعر التلميذ بحاجته اليومية إليها. وننقل إليه ما هو فوق ذلك من ذخائر الأداء والإبداع ونبعثه على أن يبدع هو وان يقو وان يكتب²

إن النجاح مشروط بالتصميم الجيد للمنهاج والعدة المعرفية والتقنية التي يجب توفرها عند المعلم من أجل تحقيق تواصل جيد مع المتعلم الذي هو قاعدة العملية التعليمية. ذلك أن تفاعل التلميذ يكون ايجابيا مع المنهاج إذا استجاب هذا المنهاج لحاجته اللغوية وسهل عليه عمليات اكتساب المعرفة³

ومعنى ذلك أن الطاقة المرنة والفاعلة للمنهاج يجب أن تستوفي شروط التفاعل الحي بين النص والتلميذ فتتجاوز من ثم ثقل الرقابة والتكرار وتجنب تنميط النصوص⁴ وإفراغها من دلالاتها الحقيقية.. ويعني ذلك أن المنهجية يجب أن تقدم الآليات

المناسبة لفهم النص وتحليله من خلال بحث عناصره دلالة وتركيبا وأسلوبا بما يسمح بتنمية المعارف اللغوية والأدبية عند التلميذ ويرفع لديه القدرة على المعرفة والتذوق الجمالي بل وينمي لديه أيضا حس الاكتشاف الإيجابي لذاته من حيث إن هذا الاكتشاف يشكل دعامة أساسية للتلميذ على مستوى كيانه الوجودي ونشاطه السلوكي والمعرفي⁵.

ومن هنا كانت المهمة في تدريس النصوص الأدبية لا تقف عند حدود الدلالات الشكلية والسطحية وإنما يجب أن تمنح النص معناه الذي يستشف من العبارات والأنساق المشكلة للنص. وقد يكون الأهم هنا هو فتح النص على الواقع وتجربة الحياة. ذلك أنه داخل النص ثمة دائما عناصر حية قادرة على اغناء التجربة والحياة⁶.

اختيار النص:

إذا كان اختيار النص الأدبي الموجه للتعليم يجب أن يراعي التنوع والثراء في الحياة الاجتماعية والثقافية والإنسانية، مما يعزز مكان من الشخصية ويبعث على الخيال والتفكير، فلا بد أن يراعي أيضا العناصر الفنية والجمالية التي تنمي الذوق وتعمق الإحساس بالجمال. ولما كان مبدأ الاختيار في اللغة العربية يقوم على استحضار النص من التراث العربي شعره ونثره، قديمه وحديثه، فإن هذه النصوص يجب أن تكشف أمام المتعلم حقائق اللغة العربية وأسرارها وتمنحه المعين الكافي لإدراك مناحي الجمال في اللغة وأساليبها... . كما أن اختيار هذه النصوص يجب أن يستجيب لمواد اللغة العربية وأنشطتها، حيث يكون من الممكن استثمار النصوص لتعميق المعارف المكتسبة، فالبلاغة مثلا أو في النحو والصرف والتعبير.

إن فاعلية هذا الاختيار مشروطة بانفتاحها على الأجناس الأدبية المختلفة في تنوع

بنياتها وثراء دلالاتها وأشكالها

ذلك أن النصوص الأدبية هي بالأساس تشكيلات معرفية متصلة بالحياة ومتفاعلة معها وهي من ثم شديدة الاتصال والارتباط بحياة مبدعيها. فبواسطة النصوص يتعرف التلميذ على السياقات الداخلة في تكوينها كما يتعرف عبر هذه النصوص أيضا الأجناس القريبة والمتجاورة لها

إن هذه المعرفة المكتسبة من خلال التفاعل مع النصوص الأدبية تمكن التلميذ من تحقيق القدرة على التمييز والمقارنة والنقد، فيصير الأدب بذلك أداة وغاية: أداة لتنمية اللغة والأسلوب واكتساب مهارات الفهم والتحليل والتفكير. وغاية لأن من غايات المنهج إعداد تلميذ يقبل بنهم وعشق على قراءة الأدب أثناء الدراسة وبعدها. ولأجل ذلك فإن إقراء

النص الأدبي لا ينبغي أن يقصى أبعاده الجمالية، ولا أن يضحي بجوانبه المعرفية والدلالية، ولكن ينبغي أن يزاوج بين المتعة والفائدة مما يمكن من إعداد تلميذ قادر على التفاعل جمالياً مع النص الأدبي، والاستفادة من إحالاته المعرفية والثقافية.

وعلى هذا الأساس كان اختيار النصوص وانتقائها عملية تعليمية وتربوية واعية تستهدف في العمق ترسيخ القيم المعرفية والجمالية والأخلاقية التي تجسد السياسة التعليمية للدولة والتي تسخر في النهاية لتشكيل عقل ووعي المتلقي (التلميذ) بما يتناسب مع المواصفات التي ينبغي أن يكون عليها عند التخرج. ولا يخفى أن هذه المواصفات لا تخرج عن الغاية العامة ممثلة في "تكوين مواطن صالح" من منظور واضعي السياسة التعليمية. وتحت هذا الغرض الأساس تندرج مجموعة من الأهداف الأخرى: أهمها:

- تعزيز التلميذ على استنتاج الأحكام الأدبية من النصوص والفنون الشعرية والنثرية، بطريقة ذاتية تلقائية.
- تعميق صلة التلاميذ بالحياة والواقع.
- ربط الأدب عندهم بالفنون والمدارس الأدبية.
- توعيتهم بتطور الأدب وسلسلة حياته وقصة تطوره، والعوامل التي ساعدت على رقيه، والأسباب التي أدت إلى ضعفه في بعض الفترات؛ لتعين هذه الثقافة على اتصاليهم به وإفادتهم من تراثه.
- توسيع خبرات التلاميذ وتعميق فهمهم لحياة الناس والمجتمع والطبيعة من حولهم، من خلال درس النصوص الأدبية.
- مساعدتهم على اشتقاق معانٍ جديدة للحياة وعلى تحسين حياتهم وتجميلها.
- زيادة معرفتهم بأنفسهم وفهمهم لها بحيث يتمكنون من توجيه حياتهم توجيهاً رشيداً.
- تعريفهم بالتراث الأدبي للغتهم، بما يشتمل عليه من قيم جمالية واجتماعية وخلقية، وظروف تاريخية ألفت بينهم في السراء والضراء.
- مساعدتهم على فهم مشكلات المجتمع الذي يعيشون فيه، والدور الذي يجب أن يلعبوه في حل هذه المشكلات.
- مساعدتهم على تكوين نظرة سليمة إزاء المشكلات الكبرى التي مرت بها الإنسانية، والحلول التي اهتمت إليها في مختلف العصور.
- تمكين التلاميذ من استعمال اللغة في نقل أفكارهم إلى غيرهم بطريقة تسهل عليهم إدراكها وتمثلها.

- تنمية قدرتهم على فهم الأفكار التي اشتملت عليها الآثار الأدبية الخالدة وتذوق ما فيها من جمال.
- زيادة استمتاعهم بألوان الأدب المختلفة من قصة أو أقصوصة أو تمثيلية أو مقالة أو ترجمة، وذلك عن طريق فهم خصائص كل لون من هذه الألوان وإدراك ما فيها من جمال.

المنهجية:

تسعى المنهجية المتبعة في قراءة وتحليل النصوص الأدبية على محاولة الربط بين المكونات الداخلية للنص والسياقات الخارجية التي أسهمت في إنتاجها. ومعنى ذلك أن القراءة (لا تقتصر على ما يحيط بالنص ملغيا مكوناته الداخلية ولا ينغلق داخل هذه البنيات ويقصي عوامل المحيط التي أسهمت في إنتاجه، بل إن المنهجية الملائمة تسعى إلى التوفيق بين داخل النص وخارجه قصد تحقيق نوع من الإحاطة والتنوع ومناسبة درجة نضج التلاميذ وإمدادهم بكثير من الأدوات المنهجية التي تسعفهم في متابعة دراستهم التخصصية في ما بعد.

التعريف بصاحب النص: تهدف هذه الخطوة بربط النص بسياق منتجه، وهي خطوة تنفتح من خلال التعريف على السيرة والتاريخ والمجتمع.

تحديد النوع الأدبي: تقوم هذه الخطوة الثانية على اختبار قدرة التلميذ في التمييز بين الأجناس الأدبية ومختلف النصوص. وينبني هذا الفهم على رصد المؤشرات الدلالة على نوع النص وموضوعه.

بناء الأفكار العامة والجزئية النص عبر منهجية تستند على الأسئلة المنتقاة والكفيلة بالإبانة عن الأغراض المقصودة.

التحليل والمناقشة:

تقوم هذه الخطوة على مجموعة من الإجراءات التي تسند على الحوارية في الكشف عن المضامين الوجدانية والفكرية والجمالية.

تسعى المنهجية وفق هذا المنظور إلى تحقيق مجموعة من المكاسب المعرفية يكون في أولها تنمية قدرات التلاميذ على الإبداع والحوار والنقد وإبداء الرأي. ولا يتحقق هذا إلا بالربط بين الإجراءات التحليلية ومهارات التفكير الإيجابي القادرة على إدراك العلاقات اللغوية والعناصر الفنية للنص.

و بما أن التدريس في ظل المقاربة بالكفاءات يتوجه إلى جعل المتعلم بانيا لمعارفه فإن هذا البناء لا يتم إلا بتنشيط الأستاذ لدرسه بوساطة الأسئلة التي تعد عماد الفعل التربوي الناجع و الفعّال لأن هذه الأسئلة هي التي تمكن المتعلم من الاكتشاف والاستيعاب و ترسيخ أحكام الدرس في الذهن. من هنا كانت العناية بصوغ الأسئلة تزداد أهمية في ظل التدريس بالكفاءات حيث تصبح هذه الأسئلة تمثل إستراتيجية نجاح الدرس و التدريس إذ إنها:

- تحفز المتعلمين على التفكير.
 - وتوجه تفكيرهم نحو القضايا الخاصة في النص.
- وتحدد المنهجية في قراءة النص وتحليله على الانتقال من البنية الشكلية اللغوية إلى البنية الموضوعية والدلالية. ففي المرحلة الأولى تواجه لغة النص عناصر المستويات الصوتية والتركيبية على النحو الذي تكون فيه المنهجية قادرة على تنويع الإجراءات والأهداف وفق طبيعة النصوص والأهداف المتوخاة من البرنامج المعتمد.
- أما المرحلة الثانية فتصب اهتمامها على الجوانب الدلالية والمضمونية للنص عبر رصد الخصائص الوجدانية والشعورية والمواقف الفكرية التي يعبر عنها النص ثم إبراز خصائص الحقول الدلالية ومستوياتها الفكرية والجمالية وهي أهداف تتحقق عبر الكشف عن سياق الاستعارات والصور البيانية وخصائص الوجود البلاغية الأخرى كالترار والتوازي والضاد وما يلحق ذلك من محسنات بديعية.

ومن هنا يكون التحليل الذي يقع على مستوى اللغة الأدبية معني باستهداف القيم الجمالية للأصوات والتراكيب والصور البلاغية، ثم الكشف عن حركة الضمائر والنوع والمركبات الإيقاعية. وهنا يكون من المجدي أيضا اعتماد المدخلين اللساني والبلاغي لإبراز مميزات النص والإبانة عن انتظام معجمه وتراكيبه في ترابطاتها وتعالقاتها المختلفة. ولما كان تحليل النص يخضع للنسق والمنهاج التعليمي، فإن من المفيد التحكم في عملية التدرج في تحصيل المكونات اللغوية بأبعادها اللسانية والبلاغية⁷ كأن يتم مثلا التركيز في حصة على التضاد وفي حصة أخرى عن التقابل. أو التشبيه في وحدة تدريسية والاستعارة في وحدة أخرى. إن هذا التدرج سيفضي بالمتعلم تدريجا إلى اكتساب المعرفة بالحركة الكلية للعناصر اللغوية والأسلوبية داخل النصوص الأدبية.

الهوامش:

1- عبد السلام عشير. الكفاية التواصلية. (اللغة وتقنيات التعبير والتواصل). منشورات

طوب اديسيون. المغرب ط 2007. 1. ص 39.

- 2- على جواد الطاهر. أصول تدريس اللغة العربية. دار الرائد العربي لبنان..1984. ص18.
- 3- ينظر. محمد الاغوازي. اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية. الدار العربية للعلوم ناشرون / ومنشورات الاختلاف. الجزائر.. ط1. 2010. ص24.
- 4- محمد مريني. النص الأدبي قضايا ديداكتيكية. دار النشر جسر. المغرب. ص. 35.
- 5- إسماعيل علوي. تقدير الذات والصحة النفسية المدرسية اي علاقة. مجلة علوم التربية. عدد58. يناير 2014. ص30.
- 6- ينظر. سمير سعيد حجازي. قاموس مصطلحات النقد الأدبي. دار الأفاق. القاهرة. ط1. 2001. ص145.
- ينظر. ابتسام حمدان. الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي. دار القلم العربي. ط1. 1998. ص20.